خالدة زاهر : من رائدات الحركة الوطنية في السودان

د الصادق عبدالله أحمد محمد

باحث وخبير استراتيجي
المفوضية القومية للحدود

مستخلص:

شهد السودان منذ قديم الزمان حضارات عظيمة. ناضل الشعب السوداني بكافة قطاعاته وفئاته رجالاً ونساءً من أجل نيل الإستقلال التام والإنعتاق من ربقة الإستعمار، وقد تحقق ذلك ببذل الدماء وتقديم التضحيات الكبيرة والعظيمة وإعتقال وتشريد المناضلين والمناضلات. كانت تجربة الحركة النسائية في السودان في اربعينات وخمسينات القرن الماضي جزءا من حراك اجتماعي وسياسي كبير فقد ارتبطت حركة تعليم المراة وتوظيفها بالاهداف القومية المطالبة بالحرية والاستقلال. شاركت الدكتورة خالدة زاهر في تاسيس وتكوين مختلف التنظيمات النسوية والتي لعبت دوراً مهماً في إستقلال السودان. وخلصت الورقة إلى أهمية دور د خالدة زاهر في الحركة الوطنية من أجل الإستقلال. إتبعت الدراسة المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الورقة إلى نتائج أهمها إن هنالك دوركبير للمرأة السودانية في الحركة الوطنية وفي النضال من أجل الإستقلال، وأنها قدمت تضحيات كبيرة وعظيمة.

كلمات مفتاحية: الحركة الوطنبة، الحركة النسائية، الإستقلال، خالدة زاهر.

KHALDA ZAHIR: ONE OF THE ICONS OF THE SUDANESE NATIONALIST MOVEMENT

Al Sadiq Abdullah Ahmed Mohammad

Abstract:

Sudan has witnessed since ancient times great civilizations. The Sudanese people, with all their sectors and groups, men and women, struggled to achieve complete independence and emancipation from the yoke of colonialism. The experience of the women's movement in Sudan in the forties and fifties of the last century was part of a major social and political movement. The movement of women's education and employment was linked to the national goals demanding freedom and independence. Dr. Khaleda Zaher participated in the establishment and formation of various women's organizations, which played an important role in the independence of Sudan. The paper concluded with the importance of Dr. Khaleda Zaher's role in the national movement

for independence. The study followed the historical approach and the descriptive analytical approach. The paper reached results, the most important of which is that there is a great role for Sudanese women in the national movement and in the struggle for independence, and that they made great and great sacrifices. Keywords: the national movement, the women's movement, independence, Khaleda Zaher.

المقدمة :

كانت تجربة الحركة النسائية في السودان في اربعينات وخمسينات القرن الماضي جزءا من حراك اجتماعي وسياسي كبير فقد ارتبطت حركة تعليم المراة وتوظيفها بالاهداف القومية المطالبة بالحرية والاستقلال وساهمت المراة مساهمات كبيرة في نشر الوعي باهمية التعليم. يعتبر مسالة عمل المراة هو المشاركة الفعلية في الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذه المشاركة حددت وضع المراة في تاريخ بلادها.

شاركت الدكتورة خالدة زاهر في تاسيس وتكوين مختلف التنظيمات النسوية والتي لعبت دورا مهما في ايجاد مكانة المراة في المجتمع، وبحكم عملها لعبت د خالدة دوراً مهماً كذلك في التعرف على مشاكل النساء واحتياجاتهن وتوقعاتهن في الحياة.

أهداف الورقة:

تناول جزء من سيرة حياة د خالدة زاهر سرور الساداتي كنموذج لرائدة من رائدات الحركة الوطنية النسائية السودانية كان لها دور مهم في نيل إستقلال السودان.

أهمية الورقة:

تأتي من أهمية تسليط الضوء على فترة تاريخية مهمة من تاريخ السودان، ودور الرواد والرائدات في الحركة الوطنية السودانية في تحقيق إستقلال السودان.

المنهج المستخدم: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي:

الحركة الوطنية ودورها في إستقلال السودان:

تجلى الشعور القومي في السودان منذ أمد بعيد وظل في ازدياد مستمر مع قيام الثورة والدولة المهدية ووثبات التصدي لنظم الحكم الاستعماري من تاريخ السودان حتى نما الشعور القومي وبدأ يتوحد نحو محاربة المستعمر الذي يسيطر على البلاد بهدف القضاء عليه وإقامة وطن سوداني مستقل . وتدرجت مراحل الحركة الوطنية وتطورت أشكالها وأدوارها من المقاومة المسلحة والثورات القبلية والاضرابات فى المدن والمؤسسات العسكرية والتعليمية . وثم مرحلة تنشيط الحراك الثقافي والأدبي عبر تفعيل دُور الأندية وتأسيس الإصدارات الصحفية وأوعية النشر الأخربهدف نشر الوعي وخلق شعورقومي موحد لتحقيق مباديء الحرية ونبذ الظلم . ومرحلة دور الطبقات المستنيرة والخريجين من خلال أنشطة مؤتمر الخريجين وتأسيس العمل السياسي المنظم وتحت كيانات وتنظيمات سياسية ومرحلة قيام الأحزاب السياسية الوطنية السودانية والنقابات المهنية والعمالية واسهاماتها فى الحركة الوطنية مروراً بالمرحلة الانتقالية وقيام الانتخابات وتكوين أول حكومة وطنية في المرحلة الانتقالية وإنشاء الأجهزة الدستورية والتنفيذية والتشريعية وسودنة الوظائف القيادية حتى نيل الإستقلال في الأول من يناير 1956م [1].

بدأت الحركة الوطنية الحديثة مع بداية الحكم الاستعماري الأجنبي خلال القرنين التاسع عشر والقرن العسرين متمثلة في اندلاع الثورة المهدية والالتفاف حولها والتأييد الكبير الذي وجدته حتى تحقق الانتصار وقيام الدولة المهدية.

انطلقت مرحلة جديدة من الحركة الوطنية السودانية مع الاستعمار الثنائي الانجليزي المصري فكانت البداية الأولى تتمثل في محاولات التصدي والمقاومة المسلحة للقوات الغازية وهي في طريقها لاحتلال البلاد حيث دارت عدة معارك حربية مع القوات الغازية ومن أشهر هذه المعارك معركة النخيلة ومعركة كرري ومعركة ام دبيكرات . وأما بمناطق غرب السودان فقد تصدى السلطان تاج الدين في معركة دروتي ضد محاولات التغلغل الفرنسى، ومقاومة السلطان علي دينار في معركة برنجية (بالقرب من الفاشر) ضد الاستعمار الانجليزي المصري [2].

كانت المقاومة مستمرة ضد الوجود الاستعماري في أوائل القرن العشرين من خلال قيام ثورات القبائل في كثير من أنحاء السودان بالإضافة للثورات الدينية المتبنية للفكر المهدوي من أشهرها ثورة ود حبوبة عام 1908 م وثورة عبدالله السحيني بدارفور، ثورة السلطان علي دينار، وثورة الفكي علي الميراوي بجبال النوبة. وهذا دليل بأن الناس كانوا قريبي عهد بالدولة المهدية [3].

أتت مرحلة تالية بتأسيس الجمعيات ذات الطابع الثقافي والأدبي نتيجة للعلاقات الاجتماعية الجديدة والروابط الوجدانية والشعور القومي بينها خاصة فى مناطق حركة الإنتاج الجديدة وفي المدن حيث أقبل السودانيون متسارعين نحو مؤسسات التعليم الحديثة وأنشأواهذه الجمعيات ومن أشهرها جمعية الاتحاد السوداني التي تأسست سنة 1918 م وجمعية اللواء الأبيض 1922 م وكانت من أهم النتائج لهذه المرحلة الحراك الثوري وقيام أول ثورة مدنية على مستوى السودان والتي عرفت بإسم ثورة اللواء الأبيض ولكن سلطات المستعمر قابلتها بقهر وعنف فاستشهدت فيها ثلة من الضباط والجنود والمدنيين السودانيين. [4]

تواصلت الحركة الوطنية فى الفترة من 1925 وحتى 1938 م. ونتيجة لسياسة المستعمر الجديدة التي تقوم على قمع وترصد حركة المقاومة والحركة الوطنية ابتكر السودانيون نوعاً آخر من المقاومة متمثلاً في العمل الثقافي والفكري والأدبي عبر دور الأندية والصحافة التي ظهرت فى هذه الفترة إلى جانب تواصل المظاهرات والإضرابات فى المؤسسات التعليمية ومن أشهر هذه الإضرابات إضراب طلاب كلية غردون التذكارية سنة 1931 م كما شهدت الحركة النسوية فى هذه المرحلة حضوراً واعياً برزت خلاله قيادات نسوية كان لها إسهام فاعل فى مسيرة الحركة الوطنية [5].

نشأ مؤتمر الخريجين العام في عام 1938م ليمثل مرحلة جديدة في تاريخ السودان الحديث ، فقد ولد المؤتمر والمثقفون السودانيون يفتقدون الجهاز الذي يجسد شخصيتهم ويوحّد جهودهم ويوجهها نحو خدمة وطنهم ومواطنيهم، واتخذ المؤتمر « القومية السودانية» شعاراً له. وبدأ عمله بمجالات الخدمة الاجتماعية وعلى رأسها التعليم الذي كان المنطلق الوطني الذي تبلور حتى أسفر عنه الوجه السياسي بعد أربع سنوات ، في عام 1942م ، بعد نشوب الحرب العالمية الثانية واشتراك السودان فيها بقوة دفاع السودان الى جانب الحلفاء الذين أعلنوا أنهم اذا كسبوا الحرب فسوف يكافئون أبناء مستعمراتهم باعطائهم حق تقرير المصير .. فاستلهم مؤتمر الخريجين هذا الوعد فأخذ يكاتب حكومة السودان بهذا ، واستمر تبادل

المذكرات بينهما عدة سنوات . هذه أول مذكرة اشتلمت على مطلب سياسي تقدم بها المؤتمر نقتطف منها الآتي [6]:

« يا صاحب المعالي حضرة صاحب المعالي حاكم السودان العام ... تشرف مؤتمر الخريجين العام بأن يرفع لمعاليكم بصفتكم ممثلين لحكومتي صاحبي الجلالة الملك جورج السادس ملك بريطانيا العظمي والملك فاروق الأول ملك مصر المذكرة التالية التى تعبر عن مطلب الشعب السوداني في الوقت لحاضر. ولخصت المذكرة مطلب السودان في هذا إصدار تصريح مشترك في إقرب فرصة ممكنة من الحكومتين المصرية والإنجليزية حق تقرير المصير بعد الحرب مباشرة. 3 / 4 / 1942 بتوقيع ابراهيم أحمد رئيس مؤتمر الخريجين العام وهذه مذكرة أخرى تخاطب دولتي الحكم الثنائي بواسطة حكومة السودان ، جاء فيها:

« ياصاحبي الدولة : لما كان السودانيون هم أصحاب الشأن الأول في تقرير مصيرهم فاننا لنتقدم الآن بهذه المطالب راجين وملحين في الطلب أن تصدر على الفور الحكومتان البريطانية والمصرية تصريحا يتضمن الموافقة على رغباتنا هذه والاسراع في العمل على وضعها موضع التنفيذ فباسم العدل وباسم الرخاء الذي قاتلت من أجله الديمقراطية يطلب مؤتمر الخريجين العام بالسودان: « قيام حكومة سودانية ديمقراطية في إتحاد مع مصر تحت التاج المصري». المخلص،اسماعيل الأزهري ، رئيس مؤتمر الخريجين العام[7]. 1945/8/23

كان من أهم نتائج قيام مؤتمر الخريجين قيام الأحزاب السياسية الوطنية، حيث اضطلعت الأحزاب السياسية الوطنية بمهام عظام حيث انتظمت جموع السودانيين تحت رايات هذه الأحزاب الوطنيةوتوحدت الإرادة السياسية الوطنية صوب تقرير المصير ونيل الاستقلال والإجماع نحو القضايا المصيرية الكبرى والمضي قدماً في التوافق السياسي و الدستور الانتقالي و تكوين مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية وسودنة الوظائف القيادية للدولة .

فى المرحلة الانتقالية التي بدأت بعد توقيع حكومتي مصر وبريطانيا على اتفاقية الحكم الذاتي فى فبراير عام 1953م حيث دخل السودان بها مرحلة انتقالية استطاع السودانيون فيها من التوافق على إجازة أول دستور انتقالي للبلاد وإجراء أول انتخابات برلمانية في نوفمبر عام 1953 م وتأليف أول حكومة وطنية انتقالية في 9 يناير 1954 م بقيادة رئيس الوزراء اسماعيل الأزهري وسودنة القوات المسلحة بتعيين أول قائد سوداني للجيش في 14 أغسطس عام 1954م واستكمال خروج القوات البريطانية والمصرية من السودان بالإضافة إلى سودنة بقية أجهزة القوات النظامية الأخرى . كما جرت سودنة الوظائف القيادية على كل مستويات أجهزة الدولة التشريعية والتنفيذية . وبإكمال هذه المهام خلال المرحلة الانتقالية استوفت المسيرة كل بنود اتفاقية الحكم الذاتي وجاء الاجماع فى الجلسة التي عقدها البرلمان السوداني في 19 ديسمبر 1955م على اعلان البرلمان الاستقلال داخل مقر البرلمان(وكان مقدم الإقتراح هو النائب عبدالرحمن دبكة دائرة بقارة غرب بجنوب دارفور، ومثني الإقتراح هو النائب مشاور جعة سهل من شمال كردفان) وتقرر أن يكون الأول من يناير سنة 1956 م هو يوم استقلال السودان عن بريطانيا ومصر ، فحُررت رسائل إلى كل من بريطانيا ومصر وأرسلت الدولتان اعترافهما باستقلال السودان وأُقيم رسمياً في صبيحة الأول من يناير 1956م احتفال بالقصر الجمهوري أُنزل خلاله علمُ مصر وعلمُ بريطانيا ورُفع علمُ السودان إيذاناً بجلاء الحكم الأجنبي

وبدء الحكم الوطني . وتولى مجلس السيادة الأول مهامه بأعضائه: أحمد محمد يس ، أحمد محمد صالح، الدرديري محمد عثمان، عبدالفتاح المغربي وسرسيو ايرو، إلى جانب رئيس الوزراء اسماعيل الأزهري وبقية أعضاء حكومته في أول حكومة وطنية لدولة السودان المستقلة. وهكذا استطاعت الحركة الوطنية بمراحلها المختلفة من تحقيق تقرير المصير للسودان وتوحيد الشعور والانتماء الوطني والتراضي والتوافق الوطني لإدارة الدولة تحت مظلة الوطن الواحد بإسم جمهورية السودان[8].

دور الحركة الوطنية النسائية في الإستقلال:

نشأت الحركة النسوية في السودان في إحضان الحركة الوطنية السودانية. والحركة النسائية الوطنية هي تجميع وتحريك لكل المجهودات على الصعيد النسائي وتنظيمها وتوجيهها نحو هدف محدد هو الإرتقاء بمستوى المرأة إجتماعياً و إقتصادياً وسياسياً حتى تصبح المرأة عنصراً حياً يتفاعل مع الأحداث ويرعى واجباته وحقوقه وتستمتع بمواطنتها وأنوثتها وأمومتها ورعايتها لزوجها وبيتها[9].

ظهرت العديد من التنظيمات والتجمعات النسوية التي تنادي بحقوق المرأة ومساواتها مع الرجل ، وقد دخلت المرأة السودانية المعترك السياسي باكراً إلا أن مشاركتها في مؤسسات وأجهزة الدولة دون المستوي رغم التضحيات الكبيرة التي قدمتها في سبيل التغيير وإشعال شرارة الثورة.

أسهمت النساء السودانيات الحراك السياسي قبل إستقلال السودان 1956م بفاعلية كبيرة ، وكان لهن القدح المعلي في مناهضة كافة أشكال الظلم والقهر عبر مختلف الوسائل منها : المشاركة في التجمعات والحراك الشعبي ومواكب التظاهرات بصورة فردية أو جماعية ، وعبر الدعم المادى والإعلامى والطبى والحقوقي وخلافه[10].

لمحة عن تأريخ الحركة النسوية بالسودان:

يلحظ المتتبع لتأريخ الحركة النسوية بالسودان بأنها مرت بعدة مراحل: فمرحلة التبشير بالوعي النسوي، كان الشيخ بابكر بدري أول من فتح مدرسة نظامية لتعليم البنات بالسودان في العام 1907م بمدينة رفاعة، وأعتبر الأساس الذي قام عليه تعليم البنات في السودان. وقد جوبهت هذه الخطوة بعاصفة من المعارضة التقليدية خشية أن يؤدي التعليم إلى تخلي المرأة عن أعباءها المنزلية وإستهتارها بالقيم والأخلاق الحميدة ومسخ العادات والتقاليد السودانية ، ودعوة للفساد بإخراج النساء من منازلهن وطمس الهوية العربية الإسلامية. حاولت الإدارة البريطانية بأساليب متعددة تعطيل قيام المدرسة النظامية الأولى لتعليم المرأة في السودان، فقد كانت تعمل بوعي وتدرك أنه كلما تأخر تعليم المرأة كلما تمكنت من المحافظة على الوضع المتخلف في المجتمع وبالتالي أمدت في عمر الإستعمار في السودان[11].

بمرور الوقت تم تقبل هذا الأمر بعد أن قام عدد من المثقفين السودانيين (كلهم من الرجال) بقيادة حملة الدفاع عن حقوق النساء في التعليم والمشاركة السياسية ، منهم: عرفات محمد عبد الله والشاعر عبيد عبد النور الذي أصبحت قصيدته " يا أم ضفائر قودي الرسن أهتفي فليحيا الوطن " شعاراً للمظاهرات ضد الإحتلال الإنجليزي ، وغيرهما من المثقفين السودانيين.

إفتتحت الحكومة في عام 1911م خمس مدارس للبنات في المدن المختلفة ولم تفتح مدارس أولية بالمجهود الشعبي إلا في العشرينات، وبعد إنشاء كلية المعلمات في أمدرمان لتدريب معلمات المرحلة الأولية

في عام 1921م وبداية حركة الخريجين في أمدرمان شرع المواطنون في إنشاء مدارس أولية للبنات في المدن الكبيرة[12].

الجمعيات النسائية الخيرية:

تكونت في هذه المرحلة منظمات نسوية مدافعة عن حقوق النساء السياسية والنقابية وغيرها، إذ نشأت معظم هذه المنظمات في فترة الأربعينيات وهي نفس فترة نشأة الأحزاب السياسية[13].

-نادي الخريجات: ظهرت فكرة (نادي الخريجات) كأول منظمة نسوية سودانية في عام 1914م إلا أن الحرب العالمية الأولى وتداعياتها حالت دون إفتتاحه في ذلك الوقت(وقد تم إفتتاحه بعد نهاية الحرب) وضم في عضويته عدد من خريجات المدارس.

- رابطة المرأة السودانية: تكونت في عام 1946م، وفي أوائل عام 1947م نشأت جمعية المرأة.
- الممرضات السودانيات: في عام 1947م تمكنت الممرضات السودانيات وللمرة الأولى من الإشتراك في نقابة الممرضين السودانيين.

نقابة المعلمات:

تقدمت عدد من مدرسات المدارس الأولية بطلب لسلطات الإحتلال للسماح لهن بتكوين نقابة، تم التصديق بقيام الإتحاد بعد مجادلات مع السلطات المختصة في 1949م، وتم تحويل الإتحاد إلى نقابة في 1953م (تعتبر إول نقابة نسائية في البلاد). كانت من أبرز أعمالها المذكرة التي رفعتها إلى مدير المعارف 1952م وفيها: طالبت النقابة بتحسن وظائف ودرجات المعلمات ومساواتهن بالمعلمين في الدرجات والترقي والمكافآت والمعاشات، وضمنت المذكرة مطالب سياسية أهمها رفع قانون الطوارئ.

الجمعية الخيرية النسائية بمدينة الأبيض:

تكونت في عام 1951م من حواء علي البصير ونفيسة كامل وأخريات.

الاتحاد النسائي السوداني :

تأسس في يوم 31 يناير 1952م، في فترة النضال من أجل الاستقلال عن بريطانيا، وطرحت فكرة تأسيسه الأستاذة عزيزة مكي عثمان وتمت الاجتماعات الأولى لتأسيسه في منزلها بحي بيت المال بأمدرمان وتم الاجتماع الأول يوم 17 يناير 1952م[13].

اللجنة التمهيدية للاتحاد النسائي: ضمت كل من عزيزة مكي عثمان، فاطمة أحمد إبراهيم، ثريا أمبابي، خالدة زاهر، نفيسة أحمد الأمين، حاجة كاشف، نفيسة المليك، فاطمة طالب، عمايم آدم، محاسن جيلاني، أم سلمى سعيد. أنتخبت اللجنة التنفيذية برئاسة فاطمة طالب، وفي عام 1956 انتُخبت فاطمة أحمد إبراهيم رئيسة له، ثم خالدة زاهر عام 1958.

لعب الاتحاد دورا مهما في ظهور التنظيمات النسوية في السودان وتأسست له فروع بعدة أحياء ومدن أخرى فيما بعد كما لعب دور مهم جداً في استقلال السودان وشارك في اللجنة التي وضعت أول دستور للسودان، وقد وجد تأييداً من معظم القوى السياسية والصحف والفنانين.

نشاطات الإتحاد:

في مجال التعليم ومحو الأمية: فتح المدارس النهارية من رياض أطفال إلى مدارس أولية ووسطى وفتح المدارس الليلية للكبار من النساء ونظم حلقات محو الأمية في الأحياء في العاصمة والأقاليم.

- قضايا الأمومة والطفولة.
- حق المرأة في العمل المطالبة بمساواة النساء مع الرجال في الأجور، وحق المرأة في المعاش.
- المطالبة بتوفير القابلات المدربات في الأرياف.
- المطالبة بتوفير المراكز الصحية في العاصمة.
- قدم مذكرات للمجالس المحلية تطالب بحقوق الطفل وصحة البيئة.
- محاربة العادات والتقاليد الضارة مثل ختان الإناث وزواج الطفلات.
- في مجال التوعية العامة: بث الاتحاد حلقات للتوعية عبر الإذاعة السودانية وقام بالعديد من الندوات والأنشطة الثقافية إستهدف فيها فئات مختلفة من النساء .
- المطالبة بالمساواة السياسية للمرأة في الإنتخابات والترشيح: ودخلت أول إمرأة البرلمان، وهي السيدة فاطمة أحمد إبراهيم.

وسع الإتحاد من نشاطاته إذ لم يحصر نشاطه في العاصمة فقط، بل كانت له فروع في الأقاليم، ووطد علاقاته وصلاته بالمنظمات النسائية في الأقطار الإفريقية والاسيوية والأوربية، كما كان عضواً في بعض التنظيمات العالمية النسائية[14].

تحديات:

وجد الإتحاد معارضة في بدايته من فريق يستند على الدين وأعتبر هذا العمل بعة ودعوة للتنازل عما طالب به الإسلام المرأة كالحجاب والبقاء في عقر دارها، وعدم الإختلاط مع الرجال، وفريق آخر يرى أن تحرر المرأة وخروجها للعمل الإجتماعي والسياسي إضراب عن القيم والأخلاق الكريمة ووسيلة للفوضى والإنحلال.

- انشقاق مجموعة بقيادة نعمات الزين بعد 4 شهور فقط من التأسيس (قامت وإخريات بتأسيس جمعية النهضة النسوية في السودان في أبريل 1952م)، وإنشقاق سعاد الفاتح وثريا أمبابي(تم إنعاش فكرة جمعية ترقية المرأة بأسم جديد هو جمعية نهضة المرأة الثقافية برئاسة السيدة رحمة علي جادالله، وعضوية: فاطمة سعدالدين، سعاد الفاتح، عائشة خالد، نفيسة محمد صالح، فاطمة محمد عبدالرحمن، نجيبة قرنفلي وأخريات)[15].

من أهم العوامل التي مكنت الإتحاد ووطدت مكانته في المجتمع ما لقيه من سند أدبي من مؤيديه وفي مقدمتهم تنظيمات العمال والطلاب والزراع والمعلمين والأدباء والفنانين والصحافة السودانية. طالب الإتحاد النسائي في عام 1953م ا بالحقوق السياسية للنساء ، وكانت نتيجتها حصول خريجات الجامعة والثانوي فقط على حق الإنتخاب دون الترشيح. توجت العلاقة بين الحركة النسوية العالمية والحركة النسوية السودانية بإنضمام الإتحاد النسائي إلي عضوية الإتحاد النسائي الديمقراطي العالمي في عام 1954م ، وإلى الإتحاد النسائي العربي وكذلك الإتحاد النسائي الأفريقي. صدرت مجلة (صوت المرأة) في عام 1955م وكانت صاحبة الإمتياز فيها الأستاذة فاطمة أحمد إبراهيم[16] .

نماذج من النساء الخالدات في تاريخ السودان:

كان للنساء السودانيات نصيب وافر فى المعترك الوطنى منذ زمن ضارب فى عمق التاريخ يرجع الى قبل الميلاد[17].

أولاً: الملكات والحاكمات وزعيمات القبائل:

كنداكة لقب أطلقته مملكة النوبة القديمة، وهي مملكة كوش في شمال السودان ، على عدد من ملكاتها، وعددهن 11 ملكة من أصل 49، أشهرهن أماني ريناس. وبعد وفاة زوجها(الملك كوش) تولت الحكم وقادت الجيش بنفسها لتقاتل الرومان على حدود السودان الشمالية.

شغبة المرغومابية:

تولت رئاسة وقيادة قبيلة الكواهلة في أرض البطانة، جدة المرغوماب والشداداب.

بكرة بت مكابر الجعلية:

المقاتلة التي دافعت عن القبيلة وشنت الغزوات والحروب، كانت مقاتلة شرسة قبلت الزواج بصعوبة ولم تنجب إلا ولداً واحداً إسمه علي (تعرف منطقتها حتى اليوم بجبل أم علي) منطقة شندي.

ثانياً: من اظهرن الشجاعة والإقدام والفروسية وضروب الأدب والشعر والفن:

رابحة الكنانية: سارت بمفردها عدة ايام خلال الاكام والشوك حتى وصلت الى قدير حيث كان معسكر المهدى ونبهته الى الحملة الكبيرة التى سيرتها الحكومة بقيادة الشلالى باشا للقضاء عليه وعلى انصاره، فاستعد لهم المهدى وباغتهم بالهجوم وقضى على جيش الشلالى، وغنمت اسلحته وذخائره ومهماته وكان نصرا مبينا للثورة المهدية فى بدايتها الاولى.

الأميرة مندي بنت السلطان عجبنا(سلطان النيمانج بالدلنج في جنوب كردفان): خاض السلطان عجبنا حرباً ضروساً مع قوات المستعمر الإنجليزي مع رجاله، ومن خلفهم الأميرة مندي التي كانت تقاتل بضراوة، وهي تحمل طفلها على ظهرها جنباً إلى جنب مع فرسان القبيلة، حيث قتل طفلها برصاص الإنجليز.

مهيرة بت عبود: وهي ابنة زعيم قبيلة الشايقية(السواراب)، مناضلة وشاعرة، لعبت دوراً كبيراً في تحفيز المقاتلين ضد جيش إسماعيل باشا في معركة كورتي 4 نوفمبر 1820م.

حواء جاه الرسول (حواء الطقطاقة): ولدت في عام 1926 بمنطقة الرهد شمال كردفان، وهي تنتمي إلى أسرة محافظة، لكنها اخترقت الطريق وصارت مغنية شعبية مشهورة وبرزت في الأغاني_الحماسية والوطنية في مقاومة الاستعمار الإنجليزي حيث تعرضت للاعتقال وعمرها (١٦) سنة بمدينة عطبرة، وهي الأم الروحية لما يعرف بأغاني البنات في السودان وملهمة أغاني الأعراس إلى اليوم، لكن دورها الوطني ظل واضحا في الغناء للنضال والجيش والحركة الوطنية، وقد كانت أول من تغنى للاستقلال ، كما التقت العديد من الزعماء العرب وغنت لهم كجمال عبد الناصر.

ثالثاً: الفقهيات وشيخات الخلاوي والبصيرات في العلاج الشعبي:

الشيخة فاطمة بت جابر: مارست تدريس القرآن الكريم، وكانت تدرس في خلوتها بقرية ترانج بالقرب من كريمة مع إخويها إبراهيم وعبدالرحمن اللذين أسسا أول الخلاوي لتعليم القرآن الكريم في منطقة كريمة.

فكي عائشة بت ود قدال: كانت لها خلوة بجهة جبل أولياء ودرس عندها الكثير من الرجال والنساء.

- الشيخة أمونة إبنة الشيخ محمود عبود السوارابي.
- الشيخة خديجة بت الفكي: صاحبة الخلوة الشهيرة في إمدرمان.
- الشيخة خديجة الأزهري: أخت الفقيه أحمد الأزهري (خديجة بت ود أب صفية) الأبيض.
- الشيخة الشريفة مريم الميرغنية: سنكات بشرق السودان.

- الشيخة حواء حسن البصري(شقيقة الشيخ عطا المنان حسن البصري- شيخ جماعة أنصار السنة المحمدية بغرب السودان) بنيالا، كانت حافظة للقرآن الكريم وفقيهة تدرس النساء في منزلها وفي متجرها بسوق نيالا.
- البصيرة الحاجة فاطمة محمد إمام (حاجة تمر) والتي كانت تعالج الأطفال مجاناً من إمراض الطفولة في نيالا، ولها معرفة ودراية في العلاج بالأعشاب.
- من الراهبات السودانيات اللآتي تلقين تعليمهن في إيطاليا وقمن بالتدريس في مدارس الإرساليات الكاثلوكية بالسودان: أدويت من الدينكا، بحر النيل حسن من دارفور، وبخيتة ريحان من دار مساليت.

رابعاً: المناضلات السياسات وصاحبات العلم والفكر:

العازة محمد عبدالله:

(أرملة البطل علي عبداللطيف- قائد ثورة 1924م): كانت هي وعبيد حاج الأمين(أحد قادة ثورة 1924م) يقومان بدور الإتصال بين القائد علي عبداللطيف وبقية الجماعة. إشتركت في مظاهرة طلبة الكلية الحربية الشهيرة وكانت تستمر في العمل الثوري من الصباح وحتى المساء عند إندلاع ثورة 1924م.

بتول محمد عيسى:

(من الدفعة الثالثة للدايات المدربات): عاصرت ثورة علي عبداللطيف 1924م وقبض عليها وحبست في السفينة التي أعتقل فيها طلبة الكلية الحربية. تعتبر أول إمرأة تستخدم الدراجة في إداء عملها منذ عام 1937م.ترقت إلى ناظرة لمدرسة الدايات بإمدرمان عام 1946م. تقاعدت عن العمل في عام 1962م ومنحت معاشاً بصفة إستثنائية في وقت لم تمنح فيه أية إمرأة عاملة معاشاً.

فاطمة طالب إسماعيل:

تخرجت من كلية الآداب جامعة الخرطوم، وتعتبر أول سودانية تحصل على درجة البكالريوس من جامعة لندن. أول مديرة لمدرسة ثانوية للبنات. من رائدات الحركة النسائية الأوائل بالسودان، كونت أول تنظيم نسائي بالسودان وهو رابطة الفتيات المثقفات بأمدرمان 1947م، عضو مؤسس للإتحاد النسائي السوداني ومن الأعضاء المؤسسات لهيئة نساء السودان الشعبية.

فاطمة أحمد إبراهيم :

(أول إمرأة سودانية تنتخب في البرلمان 1965م): من الدفعة الأولى التي قادت أول إضراب عرفته مدارس البنات، عملت بالتدريس في المدارس الأهلية بعد أن رفضت مصلحة المعارف تعيينها لأسباب سياسية. أنشأت مجلة صوت المرأة التي أسهم في إنشائها عدد من إعضاء الإتحاد النسائي وأصبحت رئيس تحريرها. تفرغت للعمل النسائي وبذلت كثيراً في سبيل المرأة السودانية في الجانب السري والعلني، وصدر لها كتاب»طريقنا للتحرر».

ملكة الدار محمد عبدالله:

(أول روائية سودانية): تخرجت في كلية تدريب المعلمات بأمدرمان عام 1934م. عضو مؤسس في جمعية الأبيض الخيرية النسائية، وعضو في الإتحاد النسائي. روائية بارعة وقد نشرت لها قصص كثيرة في الصحف والمجلات المحلية والعربية، نشر لها كتاب «الفراغ العريض» وهي رواية عن معاناة المرأة.

نفيسة أحمد الأمين:

(أول إمرأة تعين في الجهاز التنفيذي نائبة لوزير الشباب): من الأعضاء المؤسسات للإتحاد النسائي، وكانت أول سكرتيرة تنفيذية للإتحاد. قامت بتأسيس جمعية النساء السودانيات ببريطانيا عام 1954م إثناء إبتعاثها بجامعة لندن. لها كتابات وتعليقات في المجلات والصحف السودانية حول قضية المرأة وقضايا أخرى متنوعة، لها نشاط واسع في الإذاعة والتلفزيون. صدر لها كتيب بعنوان: « المرأة السودانية عبر تاريخها النضالي».

عزيزة مكي عثمان أزرق:

من الفرقة التي قادت أول إضراب في مدارس البنات في السودان. عضو مؤسس بكل من: رابطة الفتيات المثقفات، جمعية ترقية المرأة، الإتحاد النسائي، هيئة نساء السودان الشعبية. عينها الإتحاد النسائي ناظرة لمدرسة البنات الأهلية الوسطى (المليك) بعد إن رفضت مصلحة المعارف تعيينها لأسباب سياسية. أشرفت على النشاط الثقافي في الإتحاد النسائي. مثلت الإتحاد النسائي في مؤتمرات محلية وإقليمية وعالمية خاصة بقضايا المرأة.

سعاد الفاتح البدوي:

(أول إمرأة سودانية تعين عميدة بكلية جامعية): تخرجت في كلية الخرطوم الجامعية، كلية الآداب عام 1956م. عضو في أول لجنة تنفيذية للإتحاد النسائي السوداني عام 1952م. كونت مع ثريا أمبابي جمعية الجبهة النسائية الوطنية، وأصدرت معها مجلة نسائية باسم المنار ناطقة باسم الأخوات المسلمات. أول إمرأة تعمل كمستشارة لرئيس الجمهورية لشؤون المرأة.

ثريا أمبابي:

من الفرقة التي نظمت أول إضراب في مدارس البنات في السودان. عملت بمدرسة الأحفاد الثانوية من عام 1954-1964م بعد أن رفضت مصلحة المعارف تعيينها لأسباب سياسية. عضو مؤسس للإتحاد النسائي السوداني وسكرتيرة للجنته التمهيدية. أصدرت مجلة المنار مع سعاد الفاتح وكانت تشرف على تحريرها عام 1956م. مثلت المرأة السودانية في بعض المؤتمرات.

نعمات الزين مصطفى:

تخرجت في كلية تدريب المعلمات بأمدرمان عام 1948م. عضو نشط في الإتحاد النسائي السوداني. إنشقت من الإتحاد النسائي وأسست جمعية النهضة النسوية للسودان في 1952م وظلت رئيستها حتى وفاتها. قادت أول مظاهرة نسائية عرفتها البلاد وكانت بمناسبة إحتفال البلاد بتوقيع إتفاقية الحكم الذاتي للسودان عام 1954م. كانت عضواً في لجنة الجنوب بعد حوادث التمرد في الجنوب عام 1955م.

حاجة كاشف بدري:

من الفرقة التي نظمت أول إضراب في مدارس البنات في السودان. أكملت تعليمها الجامعي بكلية الخرطوم الجامعية عام 1956م، حصلت على الماجستير من جامعة القاهرة، والدكتوراة من جامعة براجستان في الهند. عضو مؤسس للإتحاد النسائي السوداني عام 1952م، وعضو لجنته التنفيذية حتى عام 1958م وترأست الإتحاد في دورة 56-1957م. أصدرت مجلة القافلة الثقافية عام 1956م. إشتركت في مؤتمرات

تعليمية ونسائية محلية وإقليمية وعالمية. صدر لها كتيب "الخليل الشاعر" عام 1954م. عينت في منصب رئيسة مجلس الرعاية الإجتماعية بدرجة وزير.

خالدة زاهر سرور الساداتي:

فى ذروة الكفاح ضد الاستعمار فى الاربعينات من القرن العشرين برزت من بين النساء فتاة جسورة, استطاعت أن تكتب أسمها من حروف من ذهب، كانت لها الريادة فى كل معترك فهى اول فتاة تدخل الجامعة وكلية الطب بالتحديد وتخرجت كاول طبيبة سودانية ، وكانت كذلك اول طالبة فى لجنة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ، ثم كانت اول فتاة تلقى خطابا وطنيا من منبر نادى الخريجين (شيخ الاندية بامدرمان) وقادت بعد الخطاب مظاهرة من الحشد فى النادى و خارجه ، وقد تعرضت للاعتقال عدة مرات ، فلم تلن ولم تنكسر ، وتوجت نشاطها بل كفاحها بتأسيسها وزميلات فضليات الاتحاد النسائى السودانى والذى كان وما زال نورا ساطعا فى دياجير الظلام الذى كان يلف مجتمع المرأة السودانية .هذه المرأة السودانية هى الدكتورة خالدة زاهر .

الأسرة والنشأة:

تنحدر خالدة من عائلة مجاهدة فينحدر جدها الأمير سرور من قيادات قبيلة الفور (الكنجارة) وقد شارك كقائد ضمن جيش السلطان إبراهيم قرض في معركته ضد الزبير باشا بمنطقة منواشي – معركة منواشي عام 1874م تقريبا- وقد غضب جدها من الزبير باشا لإسقاطه سلطنة سودانية مستقلة لصالح الخديوي في مصر ومن ثم غادر مغاضباً إلى مصر وذهب للجامع الازهر وناظر علمائها وتفوق عليهم في الفقه على المذاهب الأربعة وقد اطلق عليه شيخ الجامع الأزهر لقب "سادات العلماء" والذي تحور لاحقاً إلى سرور الساداتي. عاد للسودان وعمل مع الدولة المهدية و شارك في معركة كرري واستشهد فيها دفاعاً عن الأرض والعرض[20].

والدها زاهر سرور الساداتى، ساهم كضابط في قوة دفاع السودان في الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945 وفي طرد الطليان من كسلا و إريتريا وإثيوبيا. وهو الضابط البطل الذى قاد المتطوعين السودانيين فى حرب فلسطين فى عام .1948م. وانتصر السودانيون بقيادته في معركة مشهورة ضد اليهود وهي معركة بيت درواس في فلسطين و جرح جراحات عديدة و أسره اليهود , واشتكي أبا ايبان وزير خارجية إسرائيل في الأمم المتحدة من شراسة الجنود السودانيين بقيادته , ونال البكباشي زاهر سرور الساداتي أوسمة و انواط عسكرية سامية من قبل الملك فاروق ملك مصر في ذلك الوقت. وقد اشاد ببطولته البكباشى الرئيس جمال عبد الناصر- وهو قد خاض حرب فلسطين ايضا - وقال (ان الصاغ زاهر سرور من اشجع الضباط الذين قابلتهم فى حياتى) . كان زاهر عضوا فى جمعية اللواء الابيض من العسكريين مع على عبد اللطيف ، وعضوا فى اللجنة الستينية لمؤتمر الخريجين[21] .

المولد:

ولدت خالدة في حي الموردة في الثامن من يناير عام 1926 كمولود أول لكلٍ من فاطمة عجب أرباب وزاهر سرور الساداتي. بكل تأكيد فان مولدها كان في وقت لم تكن الكثير من الأسر ترحب بأن يكون مولودها الأول بنتاً أو بالمواليد من الإناث بشكل عام وذلك بسبب المفاهيم الذكورية التي كانت سائدة وقتها. على كلٍ، ومنذ ميلادها كان والدها عازماً على إتاحة كل الفرص لها لتبلغ ما تريد.

التعليم والدراسة:

حرصت والدتها على تعليم أبنائها وبناتها رغم أنها لا تعرف القراءة والكتابة، ولكنها كانت محبة للتعليم. درست في خلوة الفكى حسن في حي الموردة بأم درمان وهي صغيرة ، ثم إلتحقت بمدرسة البنات الإبتدائية الوحيدة في الموردة. بعد أن أكملت خالدة تعليمها الابتدائي ادخلها والدها المدرسة الإرسالية الوسطى التي كانت تديرها الكنيسة الإنجليزية (مستشفى التجاني الماحي حالياً) أكملت خالدة المدرسة الوسطى في عام 1940 وقد اعتبر ذلك إنجازاً كبيراً لامرأةٍ شابه في ذلك الوقت خصوصاً وان معظم البنات كن يمنعن من مواصلة الدراسة للبقاء في المنزل وانتظار عريس المستقبل. في احسن الأحوال كان يسمح لهن بالعمل في مهنتي التدريس والتمريض، ذلك إذا وجدن المعاضدة الكافية من الأسر. على كل، فقد أبدت خالدة رغبتها في الالتحاق بالمدرسة الثانوية بعد أن شجعها على ذلك بعض مدرسيها. كانت مدرسة البنات الثانوية الوحيدة في السودان في ذلك الوقت هي مدرسة الإتحاد الثانوية (Unity High school) وهي مدرسة خاصة تديرها الكنيسة والدراسة بها كانت وقفاً على بنات الخواجات وبعض الجاليات الأخرى من أغار يق، أرمن، طليان إضافةً إلى السوريين واللبنانيين. وعندما كانت خالدة على أعتاب التقدم للمدرسة الثانوية كان والدها في ذات الأثناء مع كتيبته في جنوب السودان. ضمنت خالدة مساندة والدتها وأخيها الأصغر أنور. لم يتجرأ شخص آخر سواء من الأسرة المباشرة أو الأقارب على مساندتها. بعد ذلك أرسلت خطاب لوالدها أوضحت فيه رغبتها في الالتحاق بالمدرسة الثانوية وطلبت موافقته إضافةً إلى مصاريف الدراسة. وافق والدها وأثني عليها وكلف خالها محمد عجب بتسجيلها في مدرسة الإتحاد الثانوية للبنات. لم يكن الأمر سهلاً لان بين طالبات مدرسة الإتحاد لم تكن توجد أية طالبة سودانية وقد بدأ أن إدارة المدرسة تتلكأ في إصدار موافقتها النهائية. لحسن حظ خالدة، فقد وجدت مساندة غير عادية من احمد يوسف هاشم ذلك الصحفي الذي كان يصدر جريدة "السودان الجديد" وعندما كانت خالدة تصارع من اجل التسجيل صادف أن احمد هاشم كان يكتب سلسلة من المقالات حول تعليم المرأة في السودان أو انعدامه. أشار احمد هاشم إلى أن هنالك مدرسة بنات ثانوية واحدة هي مدرسة الوحدة ولا توجد بها طالبة سودانية واحدة. بعد نشر تلك المقالات بمده قصيرة تلقت خالدة القبول من إدارة المدرسة لتبدأ دراستها الثانوية أحرزت نتائج ممتازة. لم يكن ذلك أمر سهلاً لأنه وأثناء سنوات الدراسة كان والدها بعيداً في الكفرة والعلمين يحارب ضمن قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. لذلك كان على خالدة باعتبارها البنت الكبرى وشقيقها أنور الذي يليها أن يتقاسما المسؤولية الأبوية تجاه اخوتهم الذين يصغرونهم. إعتمدت خالدة على نفسها كثيراً، فكانت تذهب بالترماي إلى المدرسة في ذلك الزمان، وهى تهوى القراءة والزراعة، ووجدت نفسها في تحدي مع المجتمع التقليدي.

التقديم للقبول للجامعة:

تخرجت خالدة من المدرسة الثانوية بدرجات عالية جداً في عام 1946. بعض أعضاء إدارة المدرسة لم يصدق أنه من الممكن لطالبة سودانية أن تحقق هذا المستوى الأكاديمي العالي. أبدت خالدة رغبتها في الالتحاق بالجامعة لدراسة الطب. وعندما أصبح اختيارها معروفاً بات ذلك معركة أخرى. في ذلك الوقت كانت كلية غردون التذكارية (والتي صارت فيما بعد جامعة الخرطوم) ليست متاحة لكل السودانيين، خصوصاً النساء منهم. معركة خالدة الأولى كانت حول أن تضمن مساندة أسرتها. والدها كان سريعاً جداً في موافقته على مواصلة تعليمها. كان والدها قد عاد من الجبهة ويقيم في المورده لذلك لم يكن في استطاعة أفراد الأسرة الآخرين أو كبار السن من الأقارب والجيران أن يكلفوا أنفسهم مشقة اعتراضه في قراره، كان رد والدها عليهم على حد قوله: «بتي خالدة دي لو عجنوها مع رجال عجينتها مختلفة»، ومن ثم رفض طلبهم بشجاعة وحسم. إذ كانت تربية والد خالدة زاهر لأبنائه وبناته تعتمد على الثقة والحرية، فكان يعاملهم على حد تعبيرها: "بمبدأ ما نراه صحيحاً، نعمل به.. وهذا ما دفعني للاجتهاد في الحياة والعمل بالشكل الذي أعتقد أنه كان صحيحاً بالنسبة لي ولعائلتي». المعركة الثانية كانت حول الحصول على موافقة الكلية. إستخدم الأساتذة في مدرسة الإتحاد أداء خالدة الأكاديمي ودرجاتها الممتازة وسيلة للضغط على إدارة الكلية لمنحها القبول.

صارت خالدة أول سودانية تدخل كلية غردون التذكارية ومدرسة الطب على الإطلاق في عام 1946م. لقد جاء القبول في وقته تماماً لأن والدها كان قد قرر إرسالها إلى مصر في حال رفض طلبها من قبل مدرسة الطب.

عائق آخر كان في مواجهة خالدة وهو كيف تستطيع أن تتعود على جدول الكلية الطويل المرهق من السابعة صباحاً حتى المساء في ذلك الوقت لم يكن بالكلية داخلية طالبات كما أنه لم يكن هنالك كبري يربط بين أمدرمان والخرطوم موقع الكلية. سرعان ما رتب لها والدها أمر الإقامة مع أسرة صديق عمره الأميرلاي حسن الزين الذي كان يسكن في إشلاق الجيش في المقرن. كان الاتفاق أن تقيم خالدة معهم أيام الأسبوع وأن تأتي إلى المورده خلال عطلة نهاية الأسبوع. بذلك الاتفاق وجدت خالدة أن لديها أسرة جديدة وفرت لها كل أسباب الراحة والجو المناسب للإستذكار والتحصيل العلمي[22].

الحياة السياسية الإجتماعية:

يعتبر عام 1946 هو عام التحول في حياة خالدة إضافة إلى أنه هو العام الذي بدأت فيه الدراسة في الكلية فقد صارت نشطة جداً في الحياة السياسية والاجتماعية في المورده. في تلك الفترة بدأ وعيها النسوي في النمو والتطور ومما يدل على ذلك أنها قامت مع اثنتين من صديقاتها في الحي (فاطمة طالب إسماعيل ومحاسن عبد العال مبروك) بتأسيس جمعية الفتيات الثقافية من أجل النهوض بتعليم المرأة وتمكين الفتيات

من إثراء حياتهن الاجتماعية. في ذلك العام أيضاً التقت بأحد أصدقاء شقيقها أنور، عثمان محجوب (الأخ الأكبر لعبد الخالق محجوب السكرتير الأسبق للحزب الشيوعي السوداني)وفي نفس العام قام بضمها لعضوية الحركة السودانية للتحرر الوطني (والتي صارت فيما بعد الجبهة المعادية للاستعمار ثم الحزب الشيوعي السوداني) بذلك صارت خالدة أول امرأة سودانية تنضم إلى منظمة سياسية حديثة، واصلت خالدة نشاطها السياسي في الكلية وفي الحي.

معارضتها لإنشاء الجمعية التشريعية 1948م:

في عام 1948 ونتيجة للضغط المتزايد من مؤتمر الخريجين عرضت الإدارة الاستعمارية فكرة إنشاء جمعية تشريعية لامتصاص تلك الضغوط وقد احتفظ المستعمر بالحق في تعيين أعضاء الجمعية. أدى ذلك إلى تفجير معركة سياسية بين مؤيدي ومعارضي الفكرة الاستعمارية. قادت "الجبهة المعادية للاستعمار" تلك المعركة والتي صارت تعرف في كتب التاريخ "بمعركة الجمعية التشريعية". كان ميدان المعركة نادي الخريجين بامدرمان وقد نظمت فيه عدد من الندوات والاجتماعات. أعلن الحزب الشيوعي السوداني انه سيقدم خالدة كمتحدث أساسي في إحدى ندواته ضد الفكرة الاستعمارية. في ذلك الوقت كان مجرد التفكير في حضور النساء لندوة سياسية أمراً غريباً جداً فما بالك بأن تتحدث شابة في ندوة. كان الجميع في دهشة تامة وفي يوم الندوة تجمع جمهور غفير بنادي الخريجين في ظهيرة قائظة بالرغم من أن العديد من الناس كان في ريبة فقد ألقت خالدة خطبة نارية جعلت الحضور يردد شعارات معادية للاستعمار. نتيجة لذلك إعـتُقلت خالدة فوراً بواسطة البوليس وأخذوها إلى مخفر الشرطة. كان ذلك اعتقالها الأول بل كانت هي المرّة الأولى التي يعتقل فيها البوليس امرأة سودانية بسبب آرائها السياسية. انتشر خبر اعتقالها بسرعة في كل امدرمان. في ذلك الوقت كان والدها في سجن "بيت اتليت" بالقرب من تل أبيب بعد أن أخذ أسيراً في حرب 1948. عليه كان على عمها عثمان متولي أن يلتقي البوليس لبحث أمر الضمان. خشية من غضب الجماهير فقد أسرع البوليس بإطلاق سراحها بالضمان في نفس الليلة. الاعتقال الثاني كان في عام 1950 خلال مظاهرة في حرم الكلية. هذه المرة أوضح لها عمها أن عليها أن تكمل دراستها أولاً قبل مواصلة أي نشاط سياسي.

التخرج من الجامعة والزواج:

نجحت خالدة في التخرج في مدرسة الطب في عام 1952 كأول طبيبة سودانية. عام 1952 كان نقطة تحول في حياة خالدة الخاصة حيث تزوجت من زميلها عثمان محجوب، ورزقهما المولى ولدين وبنتين، وقد تفوق الأبناء والبنات وحصلوا على شهادات عالية من أرقى الجامعات العالمية.

تأسيس الإتحاد النسائي السوداني:

في عام 1952 أحست كلٌّ من محاسن عبد العال، فاطمة طالب وخالدة بالحاجة لتأسيس منظمة لتوحيد وتطوير العمل من أجل قضايا المرأة لذلك قمن بتأسيس "الاتحاد النسائي السوداني" وتولت رئاسته عام 1958م[23].

الحياة العملية في وزارة الصحة:

بدأت حياتها العملية كطبيبة بعد أن أتمت فترة الامتياز في عنبر النساء بمستشفى امدرمان (الذي كان يديره الدكتور عبدالحليم محمد). في عام 1954 نُقلت الأسرة الشابة إلى مديرية بحر الغزال في جنوب السودان. عمل زوجها عثمان مدرساً في مدرسة رمبيك الثانوية المنشأة حديثاً، بينما عملت خالدة مفتش طبي للمديرية، وجابت الراحلة من خلال عملها كطبيبة كل أقاليم السودان. نالت دبلوماً في الصحة العامة، وتخصصت في طب الأطفال في تشيسلوفاكيا، ونالت الدبلوم من إنجلترا.

قد واصلت خالدة العمل بجانب تربية أطفالها. مع مضي الزمن وكامرأة متعلقة بعملها كان عليها أن تتعامل مع ضغوط الوظيفة، متطلبات أسرتها الكبيرة ، هذا بالإضافة إلى الأنشطة السياسية والاجتماعية الأخرى. زيارة المرضى من الجيران في منازلهم أو في المستشفيات كانت متوقعه منها لأنها هي وببساطة "الدكتورة بت الحلة". مع ذلك فإنها لم تكن تتضجر أبداً بل على العكس فهي كانت ترى أن ذلك واجبها. واصلت خالدة العمل في وزارة الصحة السودانية رافضة كل العروض السخية والوظائف ذات المرتبات المجزية التي عُرضت عليها من قبل منظمات الصحة الإقليمية والعالمية. في منتصف السبعينات ساعدت في تأسيس "مجمع صحة الأطفال" في امدرمان في المبنى الذي كانت تحتله إدارة مدرستها الإرسالية الوسطى. أخر وظيفة شغلتها كانت وكيلة وزارة الصحة السودانية. تقاعدت خالدة عن العمل في منتصف الثمانينات. وتم تكريمها من منظمات المجتمع المدني عام 2006 بمناسبة بلوغها سن الثمانين. منحتها جامعة الخرطوم الدكتوراة الفخرية في 2001 في احتفالها الماسي في 2000/2/24 وذلك لريادتها ومساهمتها في تطور المجتمع السوداني ومساندتها قضايا المرأة. ، وتم تكريمها من منظمات المجتمع المدني عام 2006 بمناسبة بلوغها سن الثمانين. توفيت في يونيو 2015 وشيعت في موكب مهيب في مدينة الخرطوم.

كلمات مضيئات في حق الراحلة:

الجبهة السودانية للتغيير:

كانت الفقيدة من الرائدات الأوائل في حركة التنوير والاستنارة والمعرفة من أجل تحرير المرأة السودانية واحترام حقوقها في التعليم والأجر المتساوي ونيل حقوقها السياسية. انخرطت الفقيدة في مجال العمل العام والسياسي منذ صباها الباكر ، وشاركت في الكفاح ضد الاستعمار برصيد حافل من النضال، وكانت أول إمرأة تتعرض للإعتقال السياسي عام 1948، ساهمت في العديد من من المؤتمرات الطبية في الداخل والخارج، كما لها مساهمات مقدرة في مجال صحة الطفولة والأمومة. عُرفت الفقيدة خالدة زاهر بالجسارة والمواجهة والمجاهرة بقول الحق في الشأن العام، فظلت صامدة ومتمسكة بمبادئها وقيمها حتى آخر لحظات حياتها العامرة بالكفاح والنضال، ولم تقف ظروفها الصحية

حائلا دون أداء رسالتها الإنسانية السامية التي كرست حياتها لها في خدمة العمل النسوي والدفاع عن حقوق المرأة[24] .

شقيقها الدكتور عدنان زاهر:

« كانت دائماً القدوة والمثال الذي يحتذون به ، ان هنالك دوما شئ ما يميزها وهو شجاعتها وجرأتها وقدرتها على قول الحق وإبداء الرأي مع النظرة الثاقبة للمستقبل وسعة صدرها في سماع صوت الآخرين ذلك النهج أجبر حتى من يخالفونها الرأي على احترامها[25].

رفيقة دربها الأستاذة نفيسة المليك: قمنا بالعديد من النشاطات معاً، وتعتبر خالدة من رائدات العمل العام مثل كثيرات من نساء السودان اللائي أتيحت لهن فرصة التعليم في وقت كان فيه تعليم المرأة تحدياً كبيراً.

الأستاذة الصحفية آمال عباس:

أن الدكتورة خالدة والسيدة نفيسة المليك والمرحومة الاستاذة نفيسة كامل وغيرهن كلهن اسهمن بصورة واضحة في مسيرة المرأة السودانية على مر التاريخ وأنا اعتبرهن قدوة لي إذ أنني عاصرت بعضاً من مسيرة نضالهن من أجل نصرة المرأة وانتزاع حقوقها وتحريرها من الأفكار والعادات البالية التي كانت تسيطر على المجتمع في الماضي وتحرم المرأة من أبسط حقوقها، ولا زلن يواصلن العطاء اللامحدود في نكران للذات، حفظهن الله ذخراً للوطن وأطال في أعمارهن.

الشابات المثقفات:

تؤمن الدكتورة خالدة إيماناً كاملاً بأن الجيل الجديد من النساء يقع عليه عبء قيادة العمل النسائي والإجتماعي، وتؤكد بتواضع أن هذا الجيل أقدر من جيلها على تفهم مشاكل عصره ووضع الحلول المناسبة لها، إذ أن المرأة السودانية بعد اسهاماتها المختلفة في الحركة الوطنية ونهضة المرأة ونجاحاتها في العمل الاجتماعي أصبح اليوم دورها أعظم خاصة بعد تقلُّدها المقاعد الدستورية والقانونية واقتحامها للعديد من المجالات مما يضاعف اعباءها في الحفاظ على ما حصلت عليه واكتساب المزيد من الحقوق.

قال الشاعر قديماً:

يـــا عقـــد الجواهـــر ويـــا تـــوبي المظاهـــر
أزور الإســـــــــبتالية وإشـاهد خالـدة زاهـر

الخاتمة:

عملت الدكتورة خالدة زاهر طبيبةَ في وزارة الصحة السودانية وتدرجت في السلك الوظيفي حتى وصلت إلى درجة وكيل وزارة . جابت من خلال عملها كطبيبة كل أقاليم السودان مناديةَ وناشرةَ الوعي بصحة الطفل والمرأة وحقوقها ومحاربة العادات الضارة . وخالدة من العشرة الأوائل اللائي أسسن الاتحاد النسائي السوداني عام 1952 م وتولت رئاسته في اواخر الخمسينيات، وناضلت من اجل إستقلال السودان ومن أجل المرأة السودانية كثيرا، وكانت خالدة عضو

مؤسس لهيئة نساء السودان الشعبية، وشاركت في العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية في أصعب الظروف كمؤتمر السلام، وشاركت في العديد من المؤتمرات الطبية خارج البلاد، بالاضافة إلى انها عضو مؤسس لجبهة الهيئات التي تكونت إبان ثورة أكتوبر 1964. رحمها الله رحمة واسعة بقدر ما قدمت لأسرتها ووطنها.

النتائج:

أن تجربة الحركة النسائية في السودان في أربعينات وخمسينات القرن الماضي كانت جزءاً من حراك إجتماعي وسياسي كبير، وشاركت المرأة في المطالبة بالحرية والإستقلال، صنواً بصنو مع الرجل. شاركت الدكتورة خالدة زاهر في تأسيس وتكوين مختلف التنظيمات النسوية، وشاركت في نشر الوعي بأهمية التعليم والتوعية الصحية ومحاربة العادات الضارة ومختلف البرامج لرفع مستوى المرأة الإجتماعي والإقتصادي والسياسي.

الهوامش:

(1) أحمد خير المحامي، كفاح جيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1991م، ص3 .

(2) موسى المبارك، تاريخ دارفور السياسي، الخرطوم، 1970م.

(3) أحمد خير المحامي، كفاح جيل، مرجع سابق، ص ص 17- 18.

(4) أحمد خير المحامي، كفاح جيل، المرجع السابق، ص 39.

(5) 1956-presidency.gov.sd/page/1898، زيارة الموقع يوم 2022/12/26م.

(6) أحمد خير المحامي، مرجع سابق، ص ص 219-220.

(7) الموقع يوم 12/26/ 2022م، https://www.alfikra.org/article.1

(8) الصادق علي حسن البصري، ورقة بعنوان:» دور المثقفين في إستقلال السودان»، ندوة بمركز معاً الثقافي، الخرطوم، ديسمبر 2020م.

(9) https://www.q8sudanwomen.yoo7.com زيارة الموقع يوم2022/12/4م .

(10) www.beamreports.com زيارة الموقع يوم 15 نوفمبر 2022م .

(11) حاجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2002م، ص ص 22-23.

(12) تقرير عن مؤسسات الكنيسة الكاثوليكية بالسودان حتى العام 1974م.

(13) جريدة الرأي العام، بتاريخ 18 يناير 1952م، الخرطوم.

(14) دستور الإتحاد النسائي السوداني، أمدرمان، 1952م، ص ا .

(15) جريدة الصراحة، العدد الخاص بالإتحاد النسائي السوداني، بتاريخ 8/1/ 1956م.

(16) فاطمة أحمد إبراهيم، طريقنا للتحرر، الخرطوم، 1962م، ص 54.

(17) صلاح عمر الصادق، نساء حكمن السودان قديماً، سلسلة تاريخية.

(18) مقابلة مع الصادق علي حسن البصري المحامي، بمكتبه بالخرطوم، 2022/11/25م.

(19) حاجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2002م، ص ص 162-163.

(20) مخطوطة يد بخط البكباشي زاهر سرور الساداتي، 1970م.

(21) مقابلة مع اللواء مهندس جوي أبو الفتوح زاهر سرور، بمنزله بأمدرمان، 2022/11/1م.

(22) مقابلة مع اللواء ركن م الهادي أحمد عبدالله عطا، بمنزله بالموردة أمدرمان،2022/11/1م (إبن شقيقة الدكتورة خالدة زاهر).

(23) حاجة كاشف بدري، الحركة النسائية في السودان، دار جامعة الخرطوم للنشر، 2002م، ص 166.

(24) جريدة حريات، الخرطوم، 2015/6/10م.

(25) موقع عدنان زاهر سرور في الإنترنت .www. adnanzahir.com

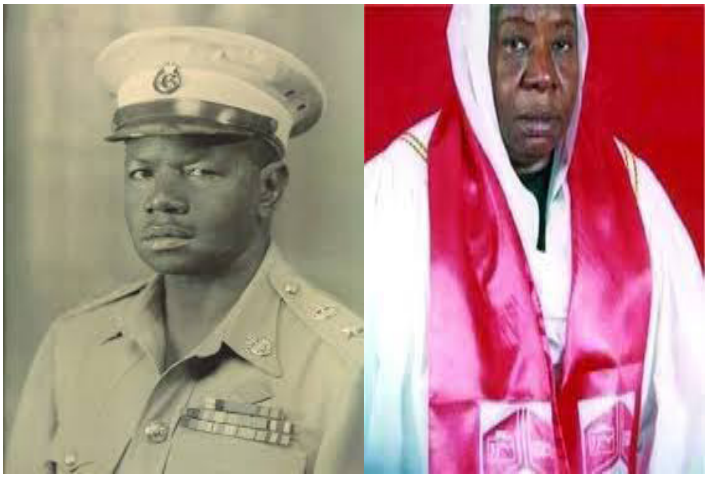

يا بلادي كم فيك حاذق
(إن الخطاب النسوي تحت نظام الجبهة القومية الإسلامية في السودان تراجع إلى الخلف، مثلما تراجع كل شئ في السودان. لقد فقدت المرأة السودانية حتى الحريات التقليدية الموروثة من الثقافة السودانية،وأصبحت ترزح تحت ضغوط دينية مستوردة من دول متخلفة لم تعكس يوماً تطلعات الشعب السوداني ولا المرأة السودانية. إن حال التجهيل وعدم الوعي الذي تفرضه هذه الشلة على الناس لا بد أن ينجلي قريباً، وقريباً جداً.)
الدكتورة خالدة زاهر
اول طبيبة سودانية
التغيير الآن

يوم المرأة السودانية

تحية لنضالات السودانيات عبر التاريخ

الخميس 7 مارس الساعة 1 ظهراً

نساء بلادي

خالدة زاهر سرور الساداتي

2015 - 1926

أول طبيبة

- في العام 1946 التحقت مع زوري سركسيان (سودانية من أصول أرمنية) بكلية كتشنر الطبية ونالتا بذلك لقب أول (مشترك) لامرأة طبيبة في تاريخ السودان، حيث تخرجت في العام 1952.
- تعتبر أول طبيبة سودانية، حيث أن عيادتها بأمدرمان كانت ملاذاً لكل النساء اللاتي لا يمتلكن أجرة الكشف، فكانت تعالجهن مجاناً.
- ساهمت في تكوين أول اتحاد نسائي سوداني سنة 1952 وتولت رئاسته في أواخر الخمسينيات. وتوفيت في 9 يوليو 2015.
- انتظمت في عضوية الحزب الشيوعي السوداني وهي طالبة وشاركت في قيادة اتحاد الطلاب في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات.

#موكب7مارس
#مدن_السودان_تنتفض